الفصل العاشر

المؤمنون بالوحدانية في تاريخ الكنيسة

كما رأينا في الفصول السابقة، فإن الكتاب المقدس يُعلم بقوة عن وحدانية الله. غير أن العالم الكنسي اليوم يدفعنا لكي نؤمن بأنه خلال التاريخ قد قبلت الكنيسة المسيحية عقيدة الثالوث. **فهل هذا حقيقي فعلاً؟ وهل كان قادة الكنيسة في العصر ما بعد الرسولي مباشرة يؤمنون بعقيدة التثليث؟ وهل وُجِدَ في تاريخ الكنيسة أي مؤمنين بالوحدانية؟**

من خلال بحثنا حول هذا الموضوع، توصلنا إلى ثلاث نتائج وسوف نناقشها في هذا الفصل.

يمكننا القول بأن القادة المسيحيين الأوائل في الأيام التي أعقبت العصر الرسولي مباشرة، كانوا مؤمنين بالوحدانية. و من المؤكد أنهم لم يُعَلِموا بمعتقد الثالوث كما تطور فيما بعد وكما هو موجود اليوم.

وحتى بعد ظهور المعتقد الثالوثي في الجزء الأخير من القرن الثاني الميلادي، فإنه لم يحل محل الوحدانية كمعتقد رئيسي حتى حوالي عام ٣٠٠م، ولم يصر هذا المعتقد مقبولاً وثابتاً على مستوى العالم حتى وقت متأخر من القرن الرابع الميلادي.

وحتى بعد أن أصبحت عقيدة التثليث هي المعتقد السائد والرئيسي، فقد ظل المؤمنون بالوحدانية متواجدين عبر كل تاريخ الكنيسة.

العصر ما بعد الرسولي

يتفق مؤرخو الكنيسة على أن عقيدة التثليث لم توجد في عصر ما بعد الرسل كما نعرفها نحن اليوم (انظر الفصل الحادي عشر). ولم يُشر القادة المسيحيون الذين جاءوا بعد الرسل إلى الثالوث، ولكنهم أكدوا إيمانهم بوحدانية الله كما أُعلِن في العهد القديم، وكذلك قبلوا دون مجادلة لاهوت وناسوت يسوع المسيح(١). ولطالما أكد هؤلاء القادة على العقائد المرتبطة بالوحدانية، والتي تفترض بدورها أن كنيسة عصر ما بعد الرسل قد قبلت وحدانية الله.

وقد كان الآباء الأكثر شهرة في عصر ما بعد الرسل هم ''هيرماس''، ''أكليمندس الروماني''، ''بوليكاربوس'' و''أغناطيوس''. وقد امتدت خدمتهم منذ عام ٩٠ وحتى عام ١٤٠م.

أما إيريناوس القائد المسيحي المشهور الذي توفى حوالي عام ٢٠٠م، فقد كان لديه فكر لاهوتي ثابت عن المسيح، وكان لديه كذلك اعتقاد راسخ بأن المسيح هو الله الظاهر في الجسد. وقد أعتقد إيريناوس بأن الكلمة ''the Logos'' الذي تجسد في يسوع المسيح كان هو عقل الله، وكان هو الأب نفسه.(٢)

ويصنف بعض العلماء ''إيريناوس'' على أنه مؤمن بـ ''الثالوث التدبيري'' ''economic trinity''. وتعتقد هذه النظرية بأنه ليس هناك ثالوث دائم، ولكن يوجد ثالوث مؤقت فقط. وبالتالي، فإنه من المحتمل أن ''إيريناوس'' قد آمن بثالوث أعمال الله أو ثالوث أدوار الله، ولكنه لم يؤمن بثالوث الأشخاص (الأقانيم) الدائم. وقد عبر ''إيريناوس'' عن بعض العقائد الوحدانية. وبالتأكيد لم يتكلم عن عقيدة الثالوث التي ظهرت بعد ذلك والتي تعتقد بوجود ثلاثة أشخاص إلهية متساوية ومتمايزة.

وفي الكتابات الأولى في عصر ما بعد الرسل، لا نجد أية إشارات إلى الثالوث، ولكنهم يشيرون فقط إلى إله واحد، وإلى يسوع المسيح باعتباره الله. أما الإشارات المحتملة لظهور معتقد التثليث، فتظهر في بعض كتابات القرن الثاني، وفي إشارات

قليلة يبدو أنها تلمِّح إلى الصيغة الثالوثية للمعمودية (المعمودية باسم الأب والابن والروح القدس).

وهناك عدة تفسيرات محتملة لتلك الإشارات الظاهرة القليلة لعقيدة الثالوث في تلك الكتابات:

ربما قد أساء القراء والباحثون المؤمنون بالثالوث فهم تلك المقاطع وفقاً لميولهم الشخصية، تماماً كما يسيئون تفسير المقاطع الكتابية مثل متى ٢٨: ١٩.

ثمة احتمال قوي بأن النساخ المؤمنين بالثالوث الذين قاموا فيما بعد بنسخ كتابات الآباء قد قاموا بإضافة مقاطع خاصة بهم، وهذه ممارسة شائعة للغاية في تاريخ الكنيسة. وهذا أمر محتمل للغاية، طالما أن النسخ الموجودة الآن من كتابات الآباء قد تم نسخها بعد مئات السنين من كتابة النسخ الأصلية منها. فمثلاً، هناك كتاب قديم يسمى "الديداكي" يقول بأن العشاء الرباني ينبغي أن يُقدم فقط لمن تم تعميدهم باسم الرب، ولكنه يذكر أيضاً المعمودية باسم الأب والابن والروح القدس.(٣) وترجع أقدم نسخة موجودة الآن من الديداكي لسنة ١٠٥٦م.(٤)

لا شك أن المعتقدات الزائفة بدأت بالفعل في التسلل إلى الكنيسة في بعض المواقف. وفي الحقيقة، إن المعتقدات الزائفة وُجِدت في أيام الرسل (رؤيا٢:٣)، بل حتى كانت هناك معتقدات زائفة عن المسيح (٢يوحنا٧، يهوذا ٤). ولكن، في المقابل، فإننا نستنتج من الدليل التاريخي أن قادة الكنيسة في العصر التالي مباشرة لرسل المسيح الاثنى عشر كانوا مؤمنين بالوحدانية.

الوحدانية: العقيدة السائدة في القرنين الثاني والثالث

لقد أشرنا إلى أن الوحدانية كانت هي العقيدة البارزة الوحيدة في بدايات القرن الثاني فيما يتعلق بالألوهية. وحتى عندما بدأت أشكال معتقدات الثنائية والثالوثية في النمو، فإنها لم تحظ بالسيادة حتى الجزء الأخير من القرن الثالث. وفي أثناء هذه الفترة كان هناك العديد من القادة والمعلمين الموحدين المشهورين الذين عارضوا هذا التحول في العقيدة. (من أجل تدعيم ما نؤكده بأن الوحدانية كانت هي العقيدة السائدة

أثناء الفترة التي أعقبت الرسل مباشرة، انظر إلى ورقة البحث في نهاية هذا الفصل بعنوان "الوحدانية الشكلانية: الوحدانية في تاريخ الكنيسة الأولى". وتصف هذه الورقة البحثية معلمي الوحدانية الرئيسيين، وعقيدتهم في تلك الفترة من تاريخ الكنيسة).

الوحدانية الشكلانية
Modalistic Monarchianism

الوحدانية الشكلانية هي المصطلح الأكثر استخداماً من مؤرخي الكنيسة للإشارة إلى نظرية الوحدانية. وتُعرِّفها الموسوعة البريطانية كما يلي:

"الوحدانية الشكلانية هي الاعتقاد بأن كل ملء اللاهوت قد حلَّ في المسيح، وهي التي تعارض مفهوم "الخضوع" الذي يعتنقه بعض كُتَّاب الكنيسة، وتتمسك بأن أسماء الأب والابن لم تكن سوى مجرد ألقاب مختلفة لنفس الشخص، الله الواحد، الذي يدعى الأب في الإشارة إلى كونه مصدر الوجود، ولكن في الإشارة لظهوره البشري فإنه يدعى الابن".(٥)

أكثر القادة الشكلانيين شهرة كان هو نيوتس من سيمرنا Noetus of Smyrna، وبراكسيس Praxeas، وسابيليوس Sabellius. وقد كان نيوتس هو مُعلم وبراكسيس في آسيا الصغرى، أما براكسيس فقد كان يعظ في روما حوالي سنة ١٩٠، وسابيليوس وعظ في روما حوالي سنة ٢١٥م.(٦) وحيث أن سابيليوس هو أكثر القادة الشكلانيين شهرة، فإن المؤرخين كثيراً ما يسمون هذه العقيدة باسم "السابيلينية" "Sabellianism". وقد أعتمد سابيليوس بقوة على الكتاب المقدس، وخاصة على مقاطع مثل (خروج٢٠:٣، تثنية ٦:٤، إشعياء٤٤:٦، ويوحنا١٠:٣٨).(٧) وقال إن الله أعلن ذاته في صورة الأب في الخليقة، وصورة الابن في التجسد، وصورة الروح القدس في التجديد والتقديس. ويفسر البعض هذا على أنه يعني أن سابيليوس يؤمن بأن تلك الأشكال (الإظهارات) الثلاثة كانت تظهر بشكل متتال، ولو كان الأمر هكذا

فإنه لا يعكس معتقدات الشكلانية القديمة أو الوحدانية الحديثة.

وتصف الموسوعة البريطانية عقيدة سابيليوس بهذا الشكل "كان افتراضه المركزي هو أن الأب والابن والروح القدس هم جميعاً نفس الشخص، وهم ثلاثة مسميات ترتبط بشخص واحد هو نفس الكائن. حيث أن ما كان يشغل سابيليوس بالأكثر هو الاهتمام بالوحدانية.(٨)

إننا نحصل على الكثير من معلوماتنا حول الشكلانية من "ترتليان" (توفى حوالي ٢٢٥م)، الذي كتب رسالة ضد براكسيس أشار فيها إلى أنه أثناء خدمة براكسيس أعتنق معظم المؤمنين عقيدة الوحدانية. ويقول ترتليان:

"إن المؤمنين البسطاء (وأنا لن أدعوهم غير الحكماء أو غير المتعلمين) الذين يشكلون دائماً غالبية المؤمنين، يتعجبون من التدبير الإلهي (الخاص بالثلاثة في واحد)، على أساس أن قانون إيمانهم الأساسي يجعلهم يبتعدون عن تعددية الآلهة التي بحسب العالم ويلتجئون إلى الله الواحد الحقيقي، غير فاهمين أنه على الرغم من أنه هو الإله الواحد الوحيد، إلا أن الإيمان به يجب أن يقوم على أساس تدبيره الخاص. فهم يفترضون أن المنظومة العددية وتوزيع الثالوث يفترض انقسام الوحدة".(٩)

المؤمنون بالوحدانية من القرن الرابع وحتى الوقت الحالي

لقد وجدنا الدليل على وجود العديد من المؤمنين بالوحدانية خلال تاريخ الكنيسة بالإضافة إلى هؤلاء الموجودين في ورقة البحث المقدمة في هذا الفصل. و نحن نشعر بأن المؤمنين بالوحدانية الذين اكتشفناهم يمثلون فقط قمة جبل الثلج. القليل الظاهر من الكثير المستتر. ويرى بعض الكتاب أن هناك دليلاً بأن عقيدة الوحدانية كانت موجودة وشائعة بين "البريسيليانيين" Priscillianists (حوالي٣٥٠-٧٠٠)، Euchites (حوالي٣٥٠–٩٠٠)، Bogomils (حوالي٩٠٠–١٤٠٠)(١٠) ومن الواضح أن معظم المؤمنين بالوحدانية لم يتركوا أية كتابات مُسجلة. وآخرون دُمرت أعمالهم المكتوبة على يد خصومهم المنتصرين. وكثيرون تعرضوا للاضطهاد واستشهدوا، ودُمرت حركاتهم بواسطة المسيحية الرسمية. ولا نعلم بالتحديد عدد المؤمنين بالوحدانية ولا عدد الحركات الوحدانية التي لم تُسجل في التاريخ، ولا نعلم كذلك عدد الذين أطلق عليهم خطأً لقب "المهرطقين" ممن كانوا يؤمنون بالوحدانية. أما ما نجده فيبين أن عقيدة الوحدانية قد استمرت على الرغم من المعارضة الشديدة لها.

وفي العصور الوسطي، أتهم العالم واللاهوتي الشهير "أبيلارد Abelard" (١٠٧٩–١١٤٢) بتعليم السابيلينية (الوحدانية).(١١) وفي النهاية أجبره أعداؤه على التراجع عن تعاليمه. وقد سعى أبيلارد للجوء إلى دير "كلوني" بفرنسا حيث توفى هناك.

أنتج الإصلاح الكثير من الأشخاص الذين عارضوا عقيدة الثالوث لصالح عقيدة الوحدانية. وكان "مايكل سيرفيتوس Michael Servetus" (١٥١١–١٥٥٣) أحد أشهر الوحدانيين الذين عارضوا التثليث في عصر الإصلاح، وهو طبيب بارز في أسبانيا. وكان لديه القليل من الأتباع، وبالرغم من ذلك يعتبره بعض المؤرخين أنه كان يمثل القوة الدافعة لنمو عقيدة الوحدانية. غير أن سيرفيتوس بالتأكيد

لم يرفض لاهوت المسيح بل اعترف به لكنه رفض الثالوث. ويشير الوصف التالي بوضوح أنه كان مؤمناً حقيقياً بعقيدة الوحدانية "إن إنكار سيرفيتوس لثالوث الله، وسرمدية الابن، مع معموديته، كل هذا جعل عقيدته مكروهة من الكاثوليك، والبروتستانت على حد سواء، وعلى الرغم من تشدده للتعليم الكتابي، إلا أن ولاءه كان لشخص يسوع، ومخططه لجعل المسيح هو مركز الكون".(١٢)

كتب سيرفيتوس "لا يوجد هناك شخص آخر في الله سوى المسيح... فإن ملء لاهوت الأب يكمن فيه".(١٣) وقد ذهب سيرفيتوس لأبعد من ذلك، فدعي عقيدة الثالوث بأنها "وحش ذو ثلاث رؤوس" "a three headed monster"، حيث أعتقد أن هذه العقيدة تقود بالضرورة إلى الشرك بالله، وإنها مجرد ضلال من الشيطان. كما أعتقد أيضاً أنه حيث أن الكنيسة قد قبلت عقيدة الثالوث، فقد سمح الله لها بأن تكون تحت سيادة البابوية، وأن تفقد المسيح. ولم يتمكن سيرفيتوس من أن يفهم لماذا انشق البروتستانت إلا أنهم مازالوا يشددون على الإبقاء على عقيدة الثالوث غير الكتابية، والتي هي من صنع البشر.

تم تنفيذ حكم الحرق على سيرفيتس على وتد عام ١٥٥٣م بسبب اعتقاده بالوحدانية، وقد صدر حكم الموت عليه بموافقة جون كالفن (رغم أن كالفن كان يفضل بالأحرى أن يتم قطع رأسه فقط).(١٤)

أما إيمانويل سويدنبرج Emmanuel Swedenborg (١٦٨٨–١٧٧٢) فهو فيلسوف سويدي، وكاتب ديني، كان قد عبر عن فهم جيد لمبدأ وحدانية الله. كما علَّم بعدد من العقائد الأخرى المخالفة تماماً لما نؤمن به، ولكنه كان لديه إعلان حقيقي عن ماهية يسوع. وقد استخدم سويدنبرج مصطلح "ثالوث" لكنه قال إنه مجرد "ثلاثة أشكال ظاهرة" وليس ثالوثا لأشخاص دائمين. واستخدم سويدنبرج (كولوسي٢:٩) ليثبت أن كل الثالوث حل في يسوع المسيح، كما أشار إلى (إشعياء٩:٦، يوحنا١٠:٣٠)، ليثبت أن يسوع هو الأب. أنكر سويدنبرج أن الابن مولود منذ الأزل، متمسكاً بالرأي القائل بأن ابن الله كان المظهر البشري

الذي أرسل الله به نفسه إلى العالم. كما أعتقد أيضاً أن يسوع هو يهوه الله الذي أتخذ الصورة الإنسانية ليخلص البشر. فكتب سويدنبرج "من لا يقترب من إله السماء والأرض الحقيقي، لا يمكنه الدخول إلى السماء، فالسماء هي السماء التي منها الله الواحد الوحيد، والله هو يسوع المسيح، الذي هو يهوه الرب، والخالق من الأزل، والمخلص، والمُجَدِد إلى الأبد ذو الشأن، الذي هو الأب والابن والروح القدس في ذات الوقت، هذا هو الإنجيل الذي يجب أن نكرز به".(١٥)

لقد رأى سويدنبرج الله (يسوع) آبا وابناً وروحاً قدساً، تماماً مثل الإنسان الذي يتألف من نفس وجسد وروح، مع فارق القياس بالطبع. ويشبه تفسير سويدنبرج عن الألوهية تفسير الموحدين المعاصرين.

شهد القرن التاسع عشر ظهور كُتاب الوحدانية. ومن بين المؤمنين بالوحدانية في أمريكا كان الخادم المشيخي الذي يدعى جون ميللر John Miller. وفي كتابه "هل الله ثالوث؟" الذي كتبه في سنة ١٨٧٦م، استخدم ميللر مصطلحاً يختلف قليلاً عما استخدم كُتّاب الوحدانية المعاصرون، ولكن المعتقدات التي عبر عنها تتطابق في جوهرها مع ما يؤمن به الموحدين المعاصرين اليوم. ومن الرائع أن تقرأ كتابه وترى كيف يتطابق ميللر مع تعليم الوحدانية المعاصر بشكل كبير، بما في ذلك طريقة تناوله لـ (متى١٩:٢٨). أعتقد ميللر أن عقيدة الثالوث ليست كتابية وهي تمنع الكنيسة على نحو خطير من الوصول إلى اليهود وغيرهم. كما بيّن ميللر بقوة كمال لاهوت يسوع المسيح.

كذا فقد وُجِدَ أيضاً مؤمنون بالوحدانية في انجلترا في القرن التاسع عشر. وقد سجل ديفيد كامبل أنه وجد كتاباً يرجع تاريخه الى سنة ١٨٢٨م يعلم بالوحدانية.(١٦) وكان مؤلفه هو جون كلوس John Clowes راعي كنيسة سان جون في مانشستر.

وفي القرن العشرين، كانت قوة الوحدانية الأكثر أهمية هي الكنيسة الخمسينية المتحدة، وبالرغم من ذلك فبعض العلماء يصنفون اللاهوتي المحافظ كارل بارت Karl Barth مؤسس تيار الأرثوذكسية الجديدة على أنه لاهوتي

شكلاني (وحداني).(١٧) أما تشارلز بارهم Charles Parham، القائد الأول للحركة الخمسينية، فقد بدأ في تقديم معمودية باسم يسوع، ولكن يبدو أنه لم يربط هذه الممارسة بإنكار واضح لعقيدة التثليث.(١٨) وبعد عام ١٩١٣، رفض الكثير من الخمسينيين عقيدة التثليث والصيغة الثالوثية للمعمودية، بدايةً من الحركة الخمسينية الوحدانية المعاصرة.

واليوم يوجد العديد من المنظمات الخمسينية الوحدانية. وأهم المراكز الرئيسية لها في الولايات المتحدة هي:

الكنيسة الخمسينية العالمية المتحدة (وهي الأكثر ضخامة فيها جميعاً).

The United Pentecostal Church International

الجماعات الخمسينية في العالم

The Pentecostal Assemblies of the World

كنائس طريق الكتاب المقدس لربنا يسوع المسيح حول العالم

The Bible Way Churches of Our Lord Jesus Christ World Wide.

جمعيات الرب يسوع المسيح

The Assemblies of the Lord Jesus Christ

كنيسة ربنا يسوع المسيح للإيمان الرسولي

The Church of Our Lord Jesus Christ of the Apostolic Faith

كنيسة الله الرسولية المقدسة المنتصرة

The Apostolic Overcoming Holy Church of God

كما توجد مجموعات خمسينية وحدانية لها مقرات رئيسية في بلدان أخرى وتتضمن:

الكنيسة الخمسينية المتحدة بكولومبيا وهي كنيسة محلية، وتعد أكبر كنيسة غير كاثوليكية في البلاد

The United Pentecostal Church of Colombia

وكذلك الكنيسة الرسولية للإيمان بالمسيح يسوع ومقرها في المكسيك

The Apostolic Church of the Faith in Christ Jesus

وهناك أيضاً الحركة الخمسينية

الوحدانية في الاتحاد السوفيتي السابق
The Oneness Pentecostal movment in the USSR
وكنيسة يسوع الحقيقية
The True Jesus Church

وهي كنيسة محلية أسسها المؤمنون الصينيون في الصين لكن مقرها الرئيسي يقع الآن في تايوان. كما يوجد العديد من المنظمات الصغيرة (حوالي ١٣٠ منظمة حول العالم) كما توجد كنائس مستقلة، وجماعات كاريزماتية تؤمن بالخمسينية الوحدانية.

ولكي نوثق بعض البيانات الموجودة في هذا الفصل أرفقنا ورقة بحثية في نهاية الفصل والتي أعدت عام ١٩٧٨ لفصل دراسي بشأن الدين في جامعة رايس Rice، بهيوستن – تكساس. ويمكننا على وجه الخصوص أن نلاحظ ملاحظتين مهمتين في الفقرات القليلة الأولى من البحث:

١– إن عقيدة التثليث لم تتثبت بقوة قبل نهاية القرن الرابع.

٢– إن الأغلبية العظمى من جميع المسيحيين في كنيسة عصر الرسل الأولى اعتنقوا عقيدة الوحدانية، وقد كانت هي العقيدة الأقوى في معارضة آراء الثالوثين حيث أن عقيدة الوحدانية قد حظيت بالقبول بين قادة الكنيسة.

هاتان الخلاصتان والمعلومات المقدمة في تلك الصفحات ليست خاصة بنا، ولكننا حصلنا عليها من خلال مؤرخي الكنيسة البارزين ومن مصادر حسنة السمعة مدونة في الهوامش الختامية وفي مراجع البحث.

الوحدانية الشكلانية:
الوحدانية في تاريخ الكنيسة الأولي

لديفيد برنارد by David Bernard

ما هي طبيعة الله؟ وما هي العلاقة بين يسوع المسيح والله؟ هذان السؤالان جوهريان بالنسبة للمسيحية. ونجد الإجابة التقليدية للمسيحية في اعتقادها بالثالوث. غير أنه في القرون القليلة الأولى من تاريخ المسيحية لم تكن هذه الصيغة هي الصيغة النهائية والأكيدة. في الحقيقة، تذكر الموسوعة الكاثوليكية الجديدة أن في القرن الثاني "كان الحل الثالوثي ما يزال أمراً مستقبليا سوف يأتي في الزمن القادم" وأن العقيدة الثالوثية "لم تكن قد تأسست بقوة... حتى نهاية القرن الرابع".(١٩)

وقد كان هناك العديد من التفسيرات عن طبيعة الله والمسيح، حظي الكثير منها بقبول واسع النطاق. ولعل أحد أهم تلك التفسيرات كان هو الوحدانية الشكلانية Monarchianism Modalistic التي أكدت على كل من وحدانية الله المطلقة وألوهية يسوع المسيح.

وطبقاً لما كتبه مؤرخ الكنيسة أدولف هارنك Harnack Adolph فإن الوحدانية الشكلانية كانت هي المنافس الأخطر لعقيدة التثليث في الفترة ما بين ١٨٠ – ٣٠٠م. واستنتج هارنك من فقرات في كتابات هيبوليتس Hippolytus، وترتليان وأورجيانوس أن عقيدة الشكلانية كانت هي العقيدة الرسمية في روما لما يقرب من جيل، وإنها العقيدة التي "أعتنقتها الأغلبية العظمى من المسيحيين في حقبة من الزمن".(٢٠)

وعلى الرغم من الأهمية الواضحة لتلك المقاطع، إلا أنه من الصعب الوصول إلى وصف كامل لحقيقة الوحدانية الشكلانية التي كانت سائدة وقتها. وبعض أبرز الذين أمنوا بالشكلانية هم نوتس Noetus، وبراكسيس Praxeas، وسابليوس Sabellius وإبيجونوس Epigonus وكليومنس Cleomenes مارسليوس الأنقري Marcellus of Ancyra، وكوموديان Commodian. وقد تعرض

اثنان على الأقل من أساقفة روما (فيما بعد أطلق عليهم لقب "بابا") وهما كاليستوس Callistus وزيفيرنس Zephyrinus لاتهامات من قِبَل معارضيهم بأنهم اعتنقوا عقيدة الوحدانية الشكلانية. ومن الصعب أن نحصل على معلومات دقيقة عن هؤلاء الرجال ومعتقداتهم حيث أن المصادر الموجودة قد كُتِبت بواسطة معارضيهم الثالوثين الذين كانوا ينوون دحض عقيدة خصومهم.

وبالتأكيد حدث سوء وعدم نزاهه اثناءعرض عقيدة الشكلانيين، بل تم تشويهها. ولذا فمن المستحيل إيجاد وصف دقيق للعقائد الخاصة بالشكلانية. غير أنه إذا تم تجميع البيانات المختلفة التي تم جمعها عن هؤلاء الأشخاص المتعددين، يكون من الممكن الوصول إلى فهم جيد للوحدانية الشكلانية. فمثلاً، كانت هناك بعض الاختلافات المحتملة في الفكر اللاهوتي النظامي لكل من نيوتس وبراكسيس وسابيليوس ومارسليوس، ومن ثم كان من الصعب التحديد الدقيق ولكن من المؤكد أن كل واحد منهم قد أيد كمال ألوهية يسوع المسيح، كما أعترف بأنه لا يوجد ثلاثة أشخاص في الله.

عادة ما يتم وصف عقيدة الشكلانية ببساطة على أنها هي الاعتقاد بأن الأب والابن والروح القدس هم مجرد ثلاثة إظهارات أو ثلاثة أشكال لإله واحد، وليسوا ثلاثة أشخاص مستقلين. ويجب ملاحظة الاختلاف عن الوحدانية الديناميكية والتي تعتقد أيضاً بوحدانية الله، ولكنها تعتقد بأن يسوع كان أقل مكانة من الله وأنه كان خاضعاً لله. ولكي نكون أكثر تحديداً فإن الوحدانية الشكلانية هي المعتقد الذي يعتبر يسوع هو تجسيد للألوهية وأنه "الأب المتجسد".(٢١)

يحظى هذا الرأي عادة بالتميز الواضح نتيجة تمسكه بالتقليد اليهودي التوحيدي القوي وفي نفس الوقت التأكيد على العقيدة المسيحية المبكرة التي تؤمن بأن يسوع هو الله. وفي نفس الوقت فهي تتجنب المتناقضات والغموض في العقيدة التثليثية. لكن الثالوثيين جادلوا بأن هذه العقيدة لم تُقدْر على نحو كاف قيمة اللوجوس، أو الوجود المسبق للمسيح، أو التمييز الكتابي

بين الأب والابن. والتحليل لعقيدة الشكلانية يكشف كيف ترد تلك النظرية على هذه الاعتراضات.

لم يكن لدى الوحدانيين الشكلانيين مجرد مفهوم مختلف بشأن الله عن مفهوم الثالوثيين فقط، بل كان لديهم أيضاً تعريفات مختلفة للكلمة (اللوجوس) والابن. والموقف الأساسي عندهم كان أن اللوجوس (الكلمة في يوحنا ١) ليس كائناً شخصاً مستقلاً بذاته ولكنه متحد مع الله بنفس الكيفية التي يتحد بها الرجل بكلمته. إنه قوة "غير منقسمة وغير منفصلة عن الأب" كما وصف جاستن مارتر هذا الاعتقاد.(٢٢) أما بالنسبة لمارسيليوس، فإن اللوجوس هو الله نفسه، خاصة حينما يتم التفكير فيه في عمله.(٢٣) ومن ثم فإن المفهوم الثالوثي للوجوس باعتباره كائناً منفصلاً (المستند على فلسفة فيلو) قد تم رفضه. لقد قبل الشكلانيون تجسد الكلمة في المسيح، ولكن بالنسبة لهم كان هذا يعني ببساطة امتدادا للأب في شكل بشري.

والأمر المرتبط ارتباطاً شديداً بهذه الفكرة هو تعريف الشكلانية للابن. فالعقيدة الشكلانية تؤكد على أن الابن هو إشارة إلى الأب الذي جاء في الجسد. وقد أنكر براكسيس الوجود المسبق للابن، مستخدماً مصطلح "الابن" ليطبقه فقط على التجسد.(٢٤) الاختلاف بين الأب والابن هو أن الأب يشير إلى الله ذاته، بينما يشير الابن إلى الأب الظاهر في الجسد (في يسوع). لقد كان الروح في يسوع هو الأب، بينما يشير الابن تحديداً إلى ناسوت ولاهوت يسوع. ومن ثم، وبشكل واضح، فإن الشكلانية لم تكن تعني أن مصطلح الأب يمكن استخدامه بشكل متبادل مع مصطلح الابن ولكنهم قصدوا أن الكلمتين لا تدلان ضمناً على أشخاص مختلفين في الله ولكنهما يدلان على أشكال مختلفة لإله واحد.

وبوضع المفهومين للوجوس والابن معاً سنرى كيف كان تفكير الشكلانيين عن يسوع. فقد قال نيوتس "إن يسوع كان هو الابن من حيث ميلاده، ولكنه كان هو الأب أيضاً".(٢٥) كما أن عقيدة الشكلانية عن اللوجوس تُعرِّف روح المسيح بأنه الأب. وأن التجسد كان مثل التجلي النهائي والأخير لله الذي فيه أعلن الأب نفسه

بصورة كاملة. غير أن ذلك لم يكن هو عقيدة الدوسيتية (الاعتقاد بأن يسوع كان كائناً روحانياً فقط)، حيث أكد كل من براكسيس ونيوتس طبيعة يسوع البشرية، خاصة ضعفه وآلامه البشرية. وكما هو الحال في عقيدة الثالوث، كان يسوع "إنساناً كاملاً وإلهاً كاملاً" ولكن بالنسبة للشكلانية، كان يسوع هو تجسيد الكمال الإلهي وليس مجرد تجسيد لشخص (أقنوم) منفصل يدعى الابن أو الكلمة "اللوجوس".

كان الاعتراض الأكثر شيوعاً ضد الوحدانية الشكلانية هو أنها تؤمن بما يسمى Patripassian وهذا يعني أنها تنكر استقلالية شخصية المسيح، وأسبقية وجوده أي أنها كانت تعني أن الأب هو الذي تألم ومات. وكان ترتليان هو أول من أتهم الشكلانيين بهذا. فقد فسر الشكلانية على أنها تعني أن الأب هو نفسه الابن. ولكن هذا سوف يعني أن الأب مات، وهذا مستحيل بالطبع. بهذه الطريقة، سعى ترتليان لأن يسخر من الشكلانية ويدحضها.

وجاء المؤرخون فيما بعد، وتعاملوا مع حجة ترتليان على أنها حقيقة، مما جعلهم يصنفون العقيدة الشكلانية على أنها Patripassianism. غير أن براكسيس قد بيّن أنه بينما كان يسوع هو الأب المتجسد، فإنه مات فقط في ناسوته، باعتباره الابن. ومن الواضح أن سابيليوس رد على هذا الاتهام بطريقة مماثلة.(٢٦)

يمكن حل كل هذه القضية بسهولة من خلال إدراك أن الشكلانية لم تُعَلم، كما زعم ترتليان، أن الأب هو الابن، ولكنها علَّمت أن الأب هو في الابن. كما قال كوموديان Commodian: "كان الأب في الابن، إله واحد في كل مكان".(٢٧) وبالمثل، أوضح سابيليوس أن اللوجوس لم يكن هو الابن لكن الابن لبسه.(٢٨) وهناك شكلانيون آخرون ردوا على هذا الاتهام بأن شرحوا أن الابن تألم، بينما الأب تعاطف أو "تألم معه".(٢٩) وقد قصدوا بذلك أن الابن، الإنسان يسوع، قد تألم ومات. أما الأب، روح الله داخل يسوع، فلا يمكن أن يكون قد تألم أو مات بأي معنى جسدي لكنه مع ذلك تأثر أو شارك في آلام الجسد. وبناء على ذلك، قال زيفرنوس Zephyrinus: "أنا أعرف إلهاً واحداً، يسوع المسيح، ولم

يولد أو يتألم أحد غيره... فالأب لم يمت بل الابن هو الذي مات".(٣٠)

من الواضح، من خلال هذه العبارة، أن معتنقي الشكلانية اعتقدوا أن الأب لم يكن جسداً لكنه لبس جسداً أو ظهر في الجسد. الجسد مات ولكن الروح الأبدي لم يمُت. ولذا فإن Patripassianism هي مصطلح مضلل وغير صحيح إذا تم استخدامه لوصف الوحدانية الشكلانية.

ومن ثم، وبشكل أساسي، فإن الوحدانية الشكلانية قد علمت أن الله ليس له تميز في العدد ولكن له فقط تميز في الاسم والشكل. وإن مصطلح الابن يشير إلى التجسد. وهذا يعني أن الابن لم يكن طبيعة دائمة، لكنه كان مجرد شكل لعمل الله الذي عُمِلَ خصيصاً لغرض خلاص الجنس البشري. وإنه لم يكن هناك ابن سابق الوجود، ولكن يمكن القول إن المسيح كان موجوداً قبلاً طالما أن روح المسيح هو الله نفسه. كما رأت الشكلانية في اللوجوس أنه يشير إلى عمل الله. ولذلك فإن يسوع هو الكلمة أو عمل الأب المتجسد. والروح القدس ليس كائناً منفصلاً مثله تماماً مثل اللوجوس. حيث يصف مصطلح الروح القدس ماهية الله، و يشير إلى قوة الله وعمل الله في العالم. وهكذا فإن كل من مصطلحي "اللوجوس" و"الروح القدس" يشيران إلى الله ذاته، في أشكال محددة من العمل أو النشاط.

وهكذا فإن مسعى الوحدانية الشكلانية هو إعادة تأكيد مفهوم العهد القديم عن الإله الواحد غير المنقسم، والذي أظهر ذاته وقوته بطرق عديدة. كما تم تعريف يسوع المسيح باعتباره هو الله الواحد الذي أظهر نفسه من خلال التجسد في جسد إنساني. وهكذا فإن الشكلانية تعترف بالألوهية الكاملة ليسوع، أكثر بكثير مما تقر به الثالوثية، وهذا بالضبط ما أعلنه الوحدانيون الشكليون.(٣١) أي أن تمام وكمال لاهوت الله هو في يسوع المسيح.

إيجازاً، فإن من الممكن تعريف الوحدانية الشكلانية بأنها هي الاعتقاد بأن الأب والابن الروح القدس هم إظهارات للإله الواحد بدون وجود أي تمايز في الأشخاص الإلهية. كذلك فهي الاعتقاد بأن الله الواحد قد ظهر كلياً في شخص يسوع المسيح.

1- Heick, I, 46-48.
2- Kenneth Latourette, A History of Christianity (New York: Harper and Row, 1953), p. 143.
3- Baptism (Early Christian), Encyclopedia of Religion and Ethics (New York: Charles Scribner's Sons, 1951), p. 385.
4- Klotsche, E.H., The History of Christian Doctrine (Grand Rapids: Baker Book House, 1979), p. 18.
5- "Monarchianism," Encyclopedia Britannica, XV, 686.
6- Heick, I, 150.
7- "Sabellius," Encyclopedia Britannica, XIX, 791.
8- Loc. cit.
9- Tertullian, Against Praxeas, 3, rpt. in Alexander Roberts and James Donaldson, eds., The Ante- Nicene Fathers (rpt. Grand Rapids: Eerdmans, 1977), III, 598-599.
10- Thomas Weisser, After the Way Called Heresy (n.p., 1981), p. 115.
11- Heick, I, 268.
12- "Servetus, Michael," Encyclopedia Britannica, XX, 371-372.
13- "Unitarianism," Encyclopedia of Religion and Ethics, XII, 520.
14- Walter Nigg, The Heretics (New York: Alfred A. Knopf, 1962), pp. 324-328.
15- Emmanuel Swedenborg, The Mystery of God? (1771; rpt. Portland, Or.: Apostolic Book Publishers, n.d.), p. 29. See Emmanuel Swedenborg, The True Christian Religion (New York: Houghton, Mifflin, 1907), I, 42.
16- David Campbell, All the Fulness (Hazelwood, Mo.: Word Aflame Press, 1975), pp. 167-173.
17- Buswell, I, 123.
18- Fred Foster, Their Story: 20th Century Pentecostals (Hazelwood, Mo.: Word Aflame Press, 1981), pp. 120-122, citing Parham, A Voice Crying in the Wilderness, pp. 23-24.
19- "Trinity, Holy," The New Catholic Encyclopedia, XIV, 295-305.
20- Adolph Harnack, History of Dogma (London: Williams & Norgate, 1897), III, 51-54.
21- "Monarchianism," The New Schaff-Herzog Encyclopedia of Religious Knowledge, VII, 454-458.
22- Wolfson, I, 583-584.
23- Dorner, II, 164.
24- Harnack, III, 68.
25- Jules Lebreton and Jacques Zeiller, Heresy and Orthodoxy, Vol. IV of A History of the Early Church (New York: Collier, 1962), p. 155.
26- Harnack, III, 63.
27- "Trinity, Holy," p. 295.
28- Van Harvey, A Handbook of Theological Terms (New York: MacMillan, 1964), p. 244.
29- Ibid; William Stevens, Doctrines of the Christian Religion (Nashville: Broadman, 1967), p. 119.
30- Harvey, p. 245.
31- Heick, I, 160; "Trinity," pp. 459-460.